الحسين عليه السلام في فكر علي شريعتي

المدرس الدكتور
عبد المنعم عبد الجبار علي
جامعة المثنى ـ كلية الآداب

المدرس الدكتور
منتصر حسن دهيرب
جامعة المثنى ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية
al_al197633@yahoo.com

المقدمة:

تعد الثورة الحسينية واحدة من الثورات المهمة التي شغلت الكتاب بحثا وتقصيا منذ القرن الاول الهجري وحتى اليوم، وقد كتب فيها مؤلفات عدة مثلت رؤى كاتبيها، ومن هؤلاء الكتاب كان لشريعتي رؤية مختلفة عن الاخرين، إذ حاول بطرحه ان يطوي بها تاريخ الانسانية جمعاء منذ أدم عليه السلام إلى الامام الحسين عليه السلام، ومختصرا بها صراع الخير والشر، كما جعلها الركيزة الاساسية التي سينتهي اليها ذلك الصراع. ويكون الحسين عليه السلام - وفقا لطرح شريعتي - هو مصداق الخير الذي جاهد لأجله الانبياء والمصلحين.

قسم البحث الى: مقدمة وعنوانات عدة وخاتمة، اما المقدمة فتطرقت لآليات بناء البحث العلمية، أما العناوين الفرعية، ابتدأت بعرض حياة الدكتور شريعتي ومبانيه الفكرية واثر ذلك على ثقافته واستدلالاته، كما اشارت الى رأي الدكتور شريعتي من الثورة الحسينية وانعكاساتها الفكرية والاجتماعية فضلا عن بعض الردود الي قدمها الباحثان على تلك الآراء. اما الخاتمة فقد خلصت الى اهم نتائج البحث.

١ـ وارث آدم:

تبدء الوراثة لآدم ونظرية شريعتي في وراثة الحسين عليه السلام لآدم بعبارة (ستارة من الدم تنسدل أمام عيني)[1]، وتأخذ مسارها في تهيئة الارضية التي وقع فيها وعليها الصراع مستعين بآليات وجهود فكرية تمكن من خلالها شريعتي من توظيف علمه وثقافته الواسعة في تقديم مفهوم الوراثة، منطلقاً من العامل الجغرافي الذي كان مبتدأ الحدث، بقوله: (في أرض التاريخ، أرى هذين النهرين الأخوين القريبين، اللذين هما ماء واحد يسرعان نحو هدف واحد، أراهما يصبان اثنين، ويبتعد كل عن الآخر في مسيره، ويبتعدان ويزدادان

بعداً.. وبالقرب من بغداد يقتربان ويزدادان قرباً.. وفي نهاية أرض التاريخ يلتقيان معاً، ويصبحان واحداً: شط العرب،...)[٢]، كان هذا التوظيف الاول في بداية الحديث عن وراثة الحسين لآدم بأن حدد الارض التي وقع عليها الصراع جغرافياً، ولابد لأي صراع من مكان يحتويه؛ فالمكان جزء من متطلبات اكتمال الحدث.

وتنتقل نظرية وراثة الحسين لآدم من خلال تقديم الدلالة، متجاوزاً العمق التاريخي وحاجز الزمان الذي يفصل الحسين عن آدم، وتمكّن شريعتي من تأسيس خطاب تأريخي مستنداً - بذلك - إلى عمق الصراع ومعتمداً على مفاهيم واعية، وآليات تمكنه من أحياء عدة مفاهيم لنظرية وراثة الحسين لآدم عليه السلام وتخاطب المتلقي وتوضح له مسألتين:

الاولى/ ان الوراثة في دافعها الظاهر[٣] بقوله: (حينما كنت اتأمل أصل (الوراثة) وخصوصاً(وراثة الحسين) الذي ورث جميع الثورات في تأريخ الإنسان - من لدن آدم الى يومه - احسست فجأة كأنه جميع تلك الثورات والابطال،...)[٤]، وهذه الاشارة التي اطلقها شريعتي للوراثة في أصلها منشط مشترك لكل الثائرين مع الحسين، وهي بدورها، نظمت العلاقة بين الدال والمدلول؛ فالحسين اسس لمفهوم عمق الدال، ووراثة آدم هي المدلول الاعمق[٥].

الأخرى/ الوراثة في دافعها الكامن[٦]، وهنا يضع الاسس العلمية لمفهوم الوراثة في الاسلام بقوله:(وعلى هذا (فالوراثة) أصل علمي منظور يسمى اليوم بـ (الوحدة التاريخية) و(الاتحاد والاستمرار) التاريخي، وهذا المصطلح يعني أن الاسلام يمتلك(فلسفة تاريخية) محددة المعالم [٧].

وفي الدافع الكامن، حدد شريعتي الاسس الفلسفية للوراثة، على انها جزء لا يتجزء من قيم الاسلام الاصيل، وهي في صلب العقيدة معللها بقوله:(لقد استعمل القرآن الكريم كلمة (الدين) دائما بصيغة المفرد وأطلق كلمة الاسلام على جميع رسالات الانبياء الماضين، ووحد جميع (الذين قادوا الإنسانية إلى النور والعدالة، في جميع العصور، وربط الجميع من خلال حلقات متصلة بآدم)[٨]، وأعتمد شريعتي في فلسفة مفهوم الوراثة واعطائه بعده الزماني والمكاني على القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ

الإِسْلَامُ﴾[٩]، أي جعل جميع الاديان السماوية هي الاسلام في جوهرها من خلال التسليم لله سبحانه وتعالى.

أما ما أطلق عليه شريعتي (الوحدة التاريخية) و(الاتحاد والاستمرار)، لربما يأتي من تأصيله الذاتي لمفهوم الوراثة وما يملكه من بعد في فهم الفلسفة المعاصر التي تأثرت بالفلسفة الهيكلية، ولكنه اصلها بطبيعة اسلامية غائبة عن فكر الاخرين (فالحسين كان حراً) في اختياره وراثة آدم، بعيداً عن كل التعقيدات بأن جعل الارادة هي من تصنع الخيار، لا الخيار من يصنع الارادة، وبهذا امتلك الحسين الحرية الجوهرية الموضوعية التي يكمن بأساسها العقل الذي وحد الاحداث من آدم الى يوم استشهاده وخلق التحول الفكري بين الكم والنوع [١٠]، وربما نوفق في خلق المقاربة الفلسفية من الباحثين واساهها شريعتي في اعتماد الباحثين وشريعتي لمعطيات الفلسفة الهيكلية.

وينتقل مفهوم الوراثة لدى شريعتي للتأصيل لصراع بين قوى الحق والنور والباطل والظلام ويصور لنا الشكلانية لهذا الصراع متخذا فكرة، وهي ان الحسين وارث آدم ومن خلال السرد للمفاهيم واستعراض البعض منها لتوضح المفهوم، نضيف اليها مفهوم الضد منها نقيضها هنالك وراثة الشيطان، واعتماداً على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[١١]، وكما أن الحسين وريث آدم، فأن قتلة الحسين هم ورثة ابليس.

ومن خلال عرض شريعتي لمفهوم الحسين وارث آدم، استخدم المنهج الشكلاني الذي اهتم بالنقد التحليلي، مركزاً على اللغة ووظيفتها كخطاب لا ثبات وراثة الحسين لآدم والنقيض منه[١٢]، وذلك بتوصيف للصراع في اكثر من حالة، متجاوزا آليات والمكان وليس هذا فحسب بل يقدم عرض لحالة الانبياء ووريثهم الحسن بقوله: (اصطف على الشاطئ جميع الانبياء والشهداء وطلاب العدالة وضحايا جرائم التاريخ، من هابيل إلى الحسين، وكلهم ذرية بعضها من بعض، وطينة واحدة، وعنصر واحد، وأصلهم جميعاً من الصنف

الإلهي من شقي الناقض في ذات آدم- نفخة الروح، روح الله - وهؤلاء يرق بعضهم بعضاً ويحملون الامانة التي تسلمها آدم من الله)[١٣]، وهذا المفهوم للوراثة الذي قدمه شريعتي فيه بيان واضح وفكرة أصيلة في كيف تعاطى مع الحسين وهو وريث الامانة التي تلقاها آدم من الله عز وجل، ومشير لجريمة قتل هابيل كانت هي نفسها تلك الجريمة التي ارتكبت ضد الحسين، لكن الشخوص اختلفوا.

وينتقل شريعتي إلى الشاطئ الاخر - من قابيل إلى يزيد - الفراعنة، النمرود، كسرى، قيصر بخت نصر، وجميع طغاة التاريخ وناهبو حياة الشعوب والحرية والشرف الانساني كلهم طينة واحدة ذرية بعضها من بعض أبناء قابيل الجزار الاول قاتل القيم وجميعهم من الصنف الطيني في ذات آدم الثنائية، روح ابليس نفخته التي نفثها في آدم وهؤلاء يرث بعضهم بعض، وهم انعكاس للحقيقة البشرية(الله-إبليس) وهم ظل الحرب الحسينية - اليزيدية في السماء، وهنا الحقيقة تسطع بأبها تجلياتها.

٢ـ الثأر:

حَوَّل شريعتي كلمة (الثأر) من مجرد كلمة، إلى مفهوم فكري يمثل خطاب قائم على المعنى، وليس لفظة عابر، بل أنها خطاب مُكَمِّل لمفهوم الوراثة، بأن جعلها معنى متجانس مع مفهوم الوراثة واسقطها عليه لتكون مكملة له[١٤]، ليتمكن من توظيف العلاقة بين الدال والمدلول نسقها الفلسفي الذي نشأ من جوهر الدين الاسلامي رابطاً بين كلمة الثأر والثورة.

فالثورة بتعريفها: هي الحدث الذي يقود إلى تغير جذري يستهدف مصلحة الانسان[١٥]، بينما يعرف شريعتي الثورة تعريفا مقارباً لهذا التعريف بقوله:(...، ألا تعتقدون أن كلمة (الثورة) تتضمن معنى أبعد من كلمة(Revolution) أو انقلاب لا تعني سوى تغير وانقلاب النظام الاجتماعي رأساً على عقب- بينما تستبطن (الثورة) مفهوم (الثأر) ايضاً[١٦]، وهذا بدوره سبقه تقدير للمعنى وتمهيد له لتكوين ونشأة الثأر ومعناه.

فهو يستخدم مصطلح (الثورة) ليكون مدخل لمفهوم (الثأر) وتحوله لخطاب قائم على المعنى، والمعنى مرتبط بفعل وسلوك انساني له علاقة في علم الاجتماع والثقافة العربية، وهذان العاملان يقومان على علاقتيهما بالبيئة التي تتحكم بالسلوك الانساني في جزء منه العادات والقيم السائدة، ويوضح شريعتي ان النظام القبلي هو النظام السائد قبل الاسلام،

وقد قام الاسلام بأعظم ثورة غير فيها النظام القبلي إلى نظام اجتماعي، وهذا التغيير الجذري والثوري العظيم الذي أحدثة الرسول محمد صلى الله عليه وآله خلال عدة سنين لم تتجاوز الجيل الواحد، لافتاً بقوله تعد هذه الحادثة مستحيلة، لان هذا العمل يحتاج إلى عدة قرون، وانما هو تغيير في عمق البنى الاجتماعية والاقتصادية، فيما استطاع نبي الاسلام من قلب المجموعة القبلية إلى نظام اجتماعي متكامل، وأمة واحدة، ومجتمع موحد، وجماعة خاصة لها سماتها ومعالمها، كل هذا في فترة قياسية(١٧).

فالمجتمعات القبلية العربية، كأي نظام قبلي في العالم، تقوم على أساس وحدة القبيلة في وجودها أما الفرد فهو لا شيء، وبذات الوقت فهو يمثل القبيلة بأجمعها، ثم يبدأ شريعتي بضرب الامثلة التي تأخذ مسارها في المعنى الذي يود المضي باتجاهه بقوله: (انت غريب، دخلت القرية، فصرت ضيفاً، ولكن ضيف من؟ ضيف حسن، ضيف حسين، بيد أن حسن وحسين يمثلان القبيلة بأجمعها باعتبارهما فردين من الجماعة والقبيلة، بمعنى انك حللت ضيفاً على القبيلة، وجميع أفرادها يعتبرون أنفسهم مضيفين، ولكي يسكنوك في البيت الذي يناسب شأنك ويليق بك يدعونك إلى بيت تتوفر فيه هذه الشروط حتة لو كان صاحبه غائباً، فأن كل فرد من أفراد القبيلة يحق له أن يقوم بهذا العمل)(١٨)، وهذا ما يطلق عليه شريعتي وحدة القبيلة، وهذا يعني بالمفهوم المقدم الغاء الملكية الفردية بالشكل المعروف في النظام الاجتماعي، ولا توجد شخصية مستقلة للفرد.

وبعد التعريف بطبيعة النظام الاجتماعي يأخذ شريعتي منحى اخر في تقديم العلاقة بين الثأر والثورة، وهي مستوحاة من الثأر وطبيعته القبلية، مشيراً إلى توظيف لغوي على مستوى غاية في الاهمية لترسيخ مبدئ (الوراثة للثأر) والتحول الذي سيأتي، أكثر مما هو شرح لقضية الثأر القبلي، عندما يتحدث بقوله نحن قبيلة، تعرضنا إلى اعتداء من قبيلة معاوية وقتل أحد ابنائنا، فلا يعتبر أبوه أو أمة أو ابنه أولياء الدم بل نحن القبيلة بأجمعها أولياء الدم، وتصبح القبيلة تحمل ثقل الثأر، وتصبح المسألة ان كل من يتنازل عن الثأر والانتقام من العدو رخيص ومستعد لبيع شرفه (١٩)، وهذا كان معمول فيه قبل الاسلام ويعرف بالعصبية القبلية(٢٠).

ولكن شريعتي يقدم مفهوم جديد (للثأر) مستخدم التفسير بأسلوب جديد من الممكن

أن نسميه فهم الفهم معتمدا في ذلك على التحولات الثقافية والفكرية التي احدثها النبي محمد صلى الله عليه وآله، فيكون مصطلح الثأر من جملة المتغيرات التي احدثها النبي الاعظم محمد صلى الله عليه وآله بتغير المصطلح(من ثأر القبيلة)،إلى مصطلح أخر في الفهم والابعاد ليكون (ثأر إيديولوجي) يأخذ بعده الانساني ويكون (ثأراً إنسانياً)، كما غير الاسلام العصبية القبلية القائمة على اخوة الدم، إلى اخوة قائمة على أساس العقيدة والافكار الانسانية، وهذه الاخوة بمضمونها العقائدي تأخذ البعد السياسي الفكري، وتم الغاء الولاء لزعيم القبيلة، وحل محلة الولاء لله رب العالمين(٢١).

وعد شريعتي التحول في مفهوم (الثأر) صفة التغاير التي نجح النبي الاعظم صلى الله عليه وآله بتحويلها إلى ثأر انساني، بتحويل مجرى القيم القبيلة، الى قيم انسانية(٢٢).

وتأتي الصيرورة الفلسفية بتحول المصطلح إلى وجود قبيلتين قبيلة الطاغوت وهم ورثة إبليس، وقبيلة آدم وهم ورث الله عز وجل، ويكمل شريعتي تحول الفكرة ومسارها الفلسفي من المنظار الشيعي في كلمة (ثأر) بأنها تمثل فلسفة الانتظار واخر الزمان الذي يمتد من آدم حتى أخر الزمان، وهي بذلك تعالج المسار التاريخي وتفسره، ومن خلال مصطلح (الثأر) في المفهوم الشيعي الذي يبدأ بعد آدم ومقتل هابيل، على ايدي قابيل، وتشكل قبيلة إلهية وقبيلة طاغوتية، ووجود القطبين المتصارعين على طول خط التاريخ، وبدون هذا التقسيم لا يمكن فهم الاسلام، ولا فهم تسلسل الإمامة، ولا فهم رسالة إبراهيم، ولان الحسين وارث آدم، وليس آدم فحسب بل ورث كل القيم السماوية من آدم إلى يوم استشهاده ورسخها فقط كان الثأر كما قدمه شريعتي جزءً مرتبطاً بالتغير الثوري الذي احدثه الرسول العظيم محمد صلى الله عليه وآله واصبحت الوراثة والثأر جزءً من صراع أخر الزمان ومرتبطة بمفهوم أخر الزمان في الاسلام، وهذين المصطلحين ارتبطا بالحسين وفلسفة تاريخ الاسلام بالمنظور الشيعي.... (يا ثأر الله وابن ثأره)(٢٣).

٣ـ الحسين والشهادة:

وظف شريعتي مصطلح الشهادة إلى صنفين بين كتابين اختصا بالإمام الحسين عليه السلام، فحمل الاول عنوان(الإمام الحسين عليه السلام وارث آدم)، والثاني حمل عنوان (الشهادة)، وهما متشابهان في المضمون وجوهر الفكرة مع اختلاف بسيط في أسلوب العرض، ومن خلالها

يأتي عرض صنفي الشهادة:

الصنف الاول/ بأن جعلنا شهداء على الناس ويكون الرسول محمد صلى الله عليه وآله شهيدا علينا، وتمثل بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٢٤]، وفيها يقول شريعتي(نحن مطالبون ومسؤولون عن بناء الامة النموذجية بما ورثناه من شهدائنا ومجاهدينا وأئمتنا وقادتنا وعقيدتنا وكتابنا، نصنع الامة القدوة لنكون شهداء على الناس وسكون الرسول شهيداً علينا وقدو لنا... رسالة ما اثقلها! رسالة تضخ في البشرية روح الحياة والحركة...)[٢٥].

الصنف الثاني/ يدخلنا شريعتي بمقارنة بمفهوم الشهادة والتي تأخذ طابعها الحقيقي، الا وهي الشهادة الحمزوية والشهادة الحسينية، فحمزة اختلف الامر معه اختلافاً كبيراً، فحمزة كان بطل مجاهد، تقدم للقتال من أجل النصر والحاق الهزيمة بالعدو، فغلب وقتل وصار شهيداً، وكان جهاد حمزة واستشهاده في معركة أحد[٢٦]، وكان بأمر من الله عز وجل والرسول صلى الله عليه وآله ونستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ...﴾[٢٦]، وتأتي شهادة حمزة في باب التحريض على الجهاد بأمر من الله ورسوله[٢٧]،أما شهادة الحسين فهي مختلفة عن شهادة حمزة فهي لم تكن جهاداً، فقد كان بو سع الإمام الحسين القعود في بيته والبقاء على قيد الحياة، لكنه آثر الموت ثائرا وتقدم، واختار اسلوب المواجهة والاستشهاد بهذه الطريقة ليحارب السلطة الحاكمة ويضعها على الهامش، وجعل من الشهادة هدف ووسيلة لإثبات الأمر الي يسرع نحو الافول[٢٨].

ومن اجل أن تأخذ المقارنة مأخذها في الفكر وتكون خطاب عالي المستوى وضع شريعتي مقارنة بين الجهاد والشهادة، فالجهاد غير الشهادة وله فلسفته، ومن الممكن أن نضيف بأن واجب للدفاع عن العقيدة والاعتداء على الاسلام[٢٩]، أما الشهادة الحسينية فأنها يكون في إظهار المجاهدات، ومن الممكن أن يعرف هذا الاستظهار ما قام به الحسين في تحديد فعل السلطة الاموية من شبه و الباس الامر على الامة في تولية يزيد للحكم[٣٠].

٤ـ الدور التاريخي للحسين:

الحسين كان وارث الاسلام، ووارث تلك الثورة التي فجرها جده و واصلها أبوه

واخوه، ولكن فرضت المعطيات على الحسين واقعية مختلفة فلم يكن للحسين جيش ولا سلاحاً ولا ذهباً، وبالتالي هذه الواقعية جردت الحسين من أي دعم جبهوي حقيقي، ولم يمتلك مجموعة منظمة، لذا فرضت واقعية الظرف السياسي أن يسير الحسين بطريق وأقره قاعدة أساسية له، ونتيجة سوء الاوضاع السياسية وقوة الحاكمين الامويين، كان لابد للحسين أن يكون مسؤولاً عن الثورة الكبرى التي ورثها من جده، التي أخذت السلطة الحاكم تقوض دعائمها، وقد استثمرت السلطة الحاكمة كل إمكاناتها للقضاء على كل منجزات الثورة، واصبح النقيضان ورثة إبليس وورثة آدم يحكمان في ظل الاسلام، وعقب الغاء مركز الحكومة الاسلامية في المدينة، انقسم تلامذة النبي محمد صلى الله عليه وآله إلى ثلاث فئات:

الفئة الاولى: لم يؤت الصبر أفرادها على تحمل ما يجري من هتك للقيم الاسلامية الشريفة، فجاهروا بالثورة ورفعوا الصلوات وقتلوا... وكان أبو ذر وعمار وعبد الله بن مسعود وحجر بن عدي قد سلكوا طريق الشهادة وكانوا رواد وقادة هذه الفئة الابرار.

الفئة الثانية: وهذه الفئة انشغلت بالعبادة، وأثرت الابتعاد عن طريق الجهاد والجنة التي تنال بضلال السيوف، وكان على رأسها عبد الله بن عمر الذي انكفأ من ساحة الحرب بن الحق والباطل ولم يكن لديه موقف ضريح في مجابه الظلم.

الفئة الثالثة: وهم صحابة كان لهم شرف الجهاد مع رسول الله، فقد باعوا ماضيهم إلى الدعة والراحة في قصر(الخضراء)عند معاوية، يقبضون الرشاوى، وفي ضوء المتقدم أدين موقف الفئتين الثانية والثالثة.

ويأتي شريعتي ليقيم دور هذه الفئات في النقد، فيضع مقارنة بين أبو هريرة صحابي الذي يحمل علماً واحاديثاً كثيرة عن رسول الله ويلفق الاحاديث ليدعم معاوية، والطرف الاخر من المقارنة مع حجر بن عدي الذي انتفض للقيم والحق والذي بدر لتحريك المجتمع الكوفي ليوقظه من سباتهن ويدفع الثمن حياته ويقتل، ويكون عراب مقتل حجر بن عدي زياد بن ابيه[٣١]، كما يصف شريعتي حجر بقوله: (...، اغتصاب الحقوق، وهيمنت الدكتاتورية المطلقة، العبث بالمعطيات الانسانية للثورة الاسلامية، لم يفت في عضده إعلان وثيقة الصلح بين الحسن ومعاوية، فكان إن شهر سيفه ضد التسلط الاموي مشكلاً في العراق رأس الحربة وصوت الثورة المدوي الذي فرض نفوذه بعد صلح الحسن على جميع

الحواضر الاسلامية).

وكان لزاما على الحسين وكما يرى أن يقوم بواجبه الذي حتمته عليه تلك (الوراثة لآدم) و(الثأر لقبيلة الله) التي سبقه في تمثيلها حجر بن عدي ورفاقه، وهو ما يطلق عليه شريعتي (الوحدة التاريخية)، وانطلقت الثورة، ثورة الوراثة لقيم الله التي لخص الحسين كلامة في جملة واحدة إن الواقع يشهد وضعا حالما جديدا، انه وضع جديد وقصة جديدة في تاريخ الاسلام، بدأت بالخداع، ولعبة الانتخابات والمراوغات القبلية والانحرافات الطبيعية والفكرية والعقائدية، استمرت حتى بلغت الذروة في عصر معاوية...، إنه الوضع الذي يشهد العالم الاسلامي بعد معاوية الذي وضع رسميا الحجر الاساس للنظام الجديد واذا ما استتب هذا النظام رسميا ولم يعترض علية احد ولم يبادر الى فضحه ولم يصرخ في اسماع الدنيا معلنا خطر الانقلاب وتغير كل شيء، ويأتي المسلمون من ثم في ذلك الجيل والاجيال اللاحقة والى يومنا وما بعده دون ان يشعر احد ما بتغير ولا اعتقد الجميع ان نظام يزيد ومن جاء بعده امتداد للنظام السابق، يعني معاوية ومن قبلة، فلا بد من الاكتفاء بالاعتراض البارد والانتقاد الجزئي فقط مع يزيد ومن يأتي بعده كما فعل الناس من قبل ابو بكر وعمر وعثمان بل وحتى مع معاوية، حينها يختلط الامر على الناس ولا يعلمون ان ثمة نظامين وحكمين ونوعين من نظام الحكم الرسمي كان في تاريخ الاسلام، وان دورة النظام الاول قد انتهت وبدأت دورة النظام الجديد(٣٢).

ويرى الشيخ عباس القمي صاحب كتاب نفس الهموم لما مرض معاوية مرضه الذي مات فيه ودعا ابنة يزيد وفقال: يا بني اني قد كفيتك الشعر والترحال ووطأت لك الامور وذللت لك الاعداء واخضعت لك رقاب العرب، وجمعت لك مالم يجمعه احد، فأنظر اهل الحجاز فانهم اصلك واكرم من قدم عليك منهم وتعاهد من غاب و وانظر اهل العراق فأن سألوك ان تعزل عنهم كل يوم فأفعل فأن عزل عامل اسير من ان يشهر عليك مائة الف سيف، فانظر اهل الشام فيكونوا بطانتك وعينك، فإن رأيك من عدولة شيء فانتصر بهم فإذا اصبتهم فأردد اهل الشام الى بلادهم فانهم اذا قاموا بغير بلادهم تغيرت اخلاقهم، واني لست اخاف عليك ان ينازعك في هذا الامر الا اربعة نفر من قريش الحسين بن علي وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعبد الرحمن بن ابي بكر اما ابن

عمر فأنه رجل قد وقذتة العبارة فإذا لم يبقى احد غيرة بايعك ، واما الحسين بن علي خفيق ولم يتركه اهل العراق حتى يخرجوه فأن خرج وظفرت فاصفح عنة فأن له رحما وحظا عظيما وقرابة من محمد وما ابن ابي بكر فان رأى أصحابه صنعوا شينا صنع مثلة ليس له همه الا في الثناء واللهو واما الذي يجثم لك جثوم الاسد ويراوغك مراوغة الثعلب فأن امكنته فرصة وثب اليك فذك ابن الزبير فان هو فعلها بك فظفرت به قطعة إرباً إربا واحقن دماء قومك ما استطعت(٣٥).

لما بويع يزيد بالخلافة كتب كتابا الى الوليد ابن عتبة يخبره بموت معاوية وكتابا اخر صغير فيه: اما بعد فخذ حسينا وعبد الله بن عمر وابن الزبير بالبيعة اخذا ليس فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام(٣٦).

وها هو الحسين يرى ان القصة لم تعد قصة حسينا ومعاوية ولا قصة عثمان حين صار الة بيد اقربائه، القصة ليست اغتصاب عمر بن ابي بكر للخلافة ، ليست القصة قصة فرد و ليست القضية شخصية، لا وليست قضية شكلية بل حتى ليست قضية انقلاب النظام الاسلامي راسا على عقب انقلابا رسميا، شرعيا، قانونيا. الخطر محدق ولو لم يتعرى الامر ويدان و لو لم تفضح الفعلة الشنعاء وتستنكر لأصبح رداء النبي وشعار الاسلام، بل حتى القران رموز لتغطية النظام الجديد ولأستمر الامر كذلك(٣٧).

ويذكر الاصفهاني بسنده: لما بلغ اهل الكوفة نزل الحسين مكة وانه لم يبايع يزيد، وفد اليه وفد، فمنهم ابو عبدالله الجدلي وكتب اليه شبث بن ربعي وسليمان بن صرد والمسيب بن نجية ووجوه اهل الكوفة يدعونه الى بيعته وخلع يزيد، فقال لهم، ابعث لكم اخي وابن عمي فاذا اخذ لي بيعتي واتاني عنهم بمثل ما كتبوا به لي قدمت عليهم(٣٨).

استعرض الحسين جموع الناس فوجدهم منهمكين بالطواف في دواحة جماهيرية حول بيت الله يؤدون مراسيم الحج ويمثلون سنة ابراهيم وسنة النبي اراد ان يهجرهم وينطلق الموت، ويعلن عن موته وعزمه على ان يموت عظيما في موتة مهيبة، وهم منهكون مشغولون يطوفون ويطوفون... هذه هي سنة ابراهيم وسنة الرسول والحج فإلى ما نذهب، بيد ان الحسين لم يتم الحج وتركة ناقصا وهو اعظم فريضة وشعار اسلامي واهم عبادة دعا اليها الدين، خرج ليعلن على رؤوس الاشهاد ان الروح رحلة وبادت فماذا ينتظرون

بالجسد الخاوي ولم الطواف وقد فقدوا الهدف والاتجاه.

لم يتريث الحسين حتى تتم المراسيم الابراهيمية العظمى ثم يبادر الى عمله، ولم يتريث قط ليثبت للبشرية والتاريخ أن النظام إذا صار كذلك فقدت الامامة والقيادة وتغيرت جهتها وسمتها فلا فرق حينئذ ان بقت باقي الامور او فنيت اثرها واحد على الناس وجودا وعدما، بل انها تتحول الى سُنَّةٍ توحيدية تلعب دور الشرك في المجتمع البشري[٣٩].

وتورد النصوص التاريخية ان مسلما بن عقيل كتب الى الحسين بأخذ البيعة له واجتماع الناس علية وانتظارهم اياه، فأزمع الشخوص الى الكوفة ولقية عبدالله بن الزبير في تلك الايام ولم يكن شيء اثقل علية من مكان الحسين بالحجاز ولا احب الية من خروجه الى العراق طمعا في الوثوب على أي شيء عزمت يا ابا عبدالله فاخبره برأيه في اتيان الكوفة واعلمة بما كتب مسلم بن عقيل الية، فقال الية ابن الزبير، فما يحبك فو الله لو كان لي مثل سيقتك بالعراق ما تلومت في شيء، وقوى عزيمة تم انصرف وجاء به عبدالله بن عباس وقد اجمع لأية على الخروج وحققه، فجعل يناشده في المقام ويعظم علية القول في ذم اهل الكوفة وقال له: انك تأتي قوما قتلوا اباك وطعنوا اخاك وما أراهم الا خاذليك فقال له: هذه كتبهم معي وهذا كتاب مسلم باجتماعهم ،فقال له ابن عباس: اما اذا كتب لابد فاعلا فلا تخرج احد من ولدك ولا حرمك ولا نسائك فخليق ان تقتل وهم ينظرون اليك كما قتل ابن عفان، فأبى ذلك ولم يقبله[٤٠].

ويبدو ان الامر الذي جعلة مسرع في الخروج الى الكوفة هي تلك الصورة التي نقلها له ابن عمة مسلم بن عقيل عن حال أهل الكوفة وانها اجتمعت على بيعته، كذلك خشيته من وقوع أي مجابهة بين الامويين وبينه في مكة، لان من المستحيل ان يترك الحسين حرا في عدم مبايعته وهو يمثل رمزا دينيا كبيرا، فالبيعة منه لبني امية تعني بيعة جميع بني هاشم والامان من جانبهم، فكان لحرمة مكة عند الامام الحسين لشيء الكبير أن لا يقتل فيها وتراق دماء في هذه البقعة المباركة.

ما يعني لنا ان الحسين ثار كي لا يقبر الاسلام ويبقى منه الاسم فقط، لقد مضى الحسين ليولد الاسلام من جديد ويبقى حيا الى يومنا هذا والى يوم القيامة، فالحسين ودوره ممتد الى ما بعد استشهاده تتناقله الاجيال رمزا لعدالة والسمو والبطولة لتنير

دروب الثوريين في كل العالم، حيث لا يقتصر دورة على طائفة معينة، فهو رمز من رموز الانسانية جمعاء.

هذه القيادة كانت ككل قائد او امام يؤمن بالنضال، غير حر في اختياره طريقه هذا، وانما كان عليها ان تخضع للظروف التي تحبط بها، وتفرض عليها شكلا معينا من اشكال الحروب. وهذه الظروف تتحكم فيها شروط الضعف والقوة عند العدو ومن ثم تقدير الموقف العام، لذلك لن يتسنى لنا معرفة الاسلوب الذي اختاره الحسين لثورة مالم يعرف الظروف الهامة والخاصة التي تحيط به، والشروط التي اوجبت عليه اختيار ذلك الاسلوب. ويروي قائلا كان ظهور الدور الحسيني في سنة سنين للهجرة حيث الامة بانتظار رجل تاريخي ينهض بأعباء الدور القيادي، ويكون حارسا ومسؤولا في هذه الثورة الكبرى التي اطلقها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله والتي اخذت دعائمها تتقوض تحت ضربات بني امية واعوانهم. وكان دور الحسين شاقا لأنه كان دورا تاريخيا(٤١).

وبالعودة للواقع الاجتماعي والسياسي والامة مشرفة على سنة ستين للهجرة بعد مضي بني امية في تقويض الثورة الاسلامية وقواعدها الاجتماعية واسقاطها من جهة قريش وتصادر كل منجزات هذه الثورة وكل قيمها لتسخيرها في خدمة اغراضها الخاصة من جهة اخرى واما انصار الثورة وتلامذة محمد ورفاقه الاوائل وفئاتهم الثلاثة، فكانت الفئة الاولى منهم ممثلة بحجر بن عدي ورفاقه لم يؤاتيها الصبر على التحمل في هروا الثورة وقتلوا، أما الثانية والثالثة فقد تخاذلت ولكل مهم مبرراته، فقد اتجهت الفئة الثانية لطريق الزهد والاعتكاف للعبادة واعتزال الناس وهذا موقف سلبي بررت فيع تخاذلها، اما الثالثة فقد باعوا ما فيهم وانتهوا الى الدعة والراحة في قصر الخضراء عند معاوية يتقاضون الاموال والرِشا وهم كانوا علنا من باع الاسلام(٤٢).

وهذا الوضع الاجتماعي المزري ساهم بقتل الحسين قبل أن يثور، وبعد استشهاده بدأت رحلة الوراثة لآدم، والثأر الانساني.

الخاتمة:

إن اهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة وهي:

١- وضع شريعتي نظرية جديدة لمفهوم الوراثة تقوم على اساس وراثة ادم في القيم والمبادئ، وانها وراثة تقوم على تسلم الراية من الله الى ادم فالحسين الذي توجل نضال المضطهدين.

٢- اسس شريعتي لعبد فلسفي لمفهوم الثأر، بأن حوله لمصطلح علمي فلسيفي يقوم على اسس فلسفية، وقد عبر عنه بوحدة التاريخ.

٣- تبنى شريعتي مفهوم جديد للشهادة وكانت صنفان شهادة النبي على الامة والامة التي تشهد على الناس مستندا في ذلك لمفهوم قرآني.

٤- أوضح شريعتي المسؤولية التاريخية للحسين من خلال مناقشة مفهوم الشهادة الحمزوية والشهادة الحسينية والفرق بينها.

٥- استخدم شريعتي ملكة ثقافية واسعة وسخرها لخدمة المفهوم الثورة الحسينة من استخدام الاساليب الفلسفة وتأطيرها بأطار اسلامي، وكذلك سخر المفاهيم الادبية الحديثة لاعطاء القضية الحسينية ابعادها مثل علم الدلالة والهرمونطيقيا وهو بذلك سبق الكثير من مفكري التاريخ الاسلامي.

هوامش البحث ومصادره

(١) علي شريعتي، الإمام الحسين عليه السلام وارث أدم، ترجمة علي الحسيني، دار الامير،بيروت،٢٠٠٤م،ص٦٩.
(٢) شريعتي، المصدر نفسه،ص٦٩-٧٠.
(٣) خالد بن محمد بن خلفان، نقد النقد في التراث العربي، دلر جرير،عمان،الاردن،٢٠١٠م،ص٦٩-٧٤.
(٤) شريعتي، المصدر السابق،ص١٢٨.
(٥) منذر عياشي، علم الدلالة، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٨م،ص٣٠.
(٦) خلفان، نقد النقد في التراث العربي، ص٧٥-٧٩.
(٧) شريعتي، المصدر السابق، ص١٢٤.
(٨) شريعتي، المصدر نفسه، ص١٢٥.

(٩) آل عمران/١٩.
(١٠) فردريك هيكل، العقل في التاريخ، ترجمة عبد الفتاح إمام، دار التنوير،بيروت،٢٠٠٧م، ١٩٢.
(١١) البقرة/٣٤-٣٦.
(١٢) سمير المرزوق، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦.
(١٣) شريعتي، المصدر السابق، ص١٣٠.
(١٤) جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ترجمة جمال خضري، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٧م، ص٦٠.
(١٥) خليل جمال الدين، الثوري الحقيقي والثوري المحترف، مجلة دراسات عربية، العدد ٩ تموز ١٩٦٨، ص٩١.
(١٦) شريعتين المصدر السابق،ص٢٢٩.
(١٧) شريعتي، المصدر نفسه،ص٢٢٣.
(١٨) شريعتي، المصدر نفسه،ص٢٢٤.
(١٩) شريعتي، المصدر نفسه،ص٢٢٦.
(٢٠) محمد الخطيب، حصارة العرب في العصور القديمة، دار طلاس،دمشق،٢٠٠٥،ص٢١١-٢٧٧.
(٢١) عادل مصطفى، مدخل الى الهرمنيوطقيا، دار رؤية، القاهرة،٢٠٠٧،ص٢٤.
(٢٢) شريعتي، المصدر السابق،ص٢٢٩.
(٢٣) شريعتي، المصدر نفسة،ص٢٣٧.
(٢٤) البقرة/١٤٣.
(٢٥) شريعتي، الحسين وارث ادم،٢٣٩.
(٢٦) محمد بن عمر الواقدي، المغازي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١،٢٠٠٤/٢٥١.
(٢٧) محمد مهدي الاصفي، الجهاد، انتشارات دفتر تبليغات اسلامي،قم،١٤١٢هـ،ص٢٠.
(٢٨) شريعتي، الحسين وارث ادم،ص٣٠٠.
(٢٩) شريعتي، الحسين وارث ادم،ص٣٠٣.
(٣٠) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة، ١٩٩٢م، ٥/٣٢٢-٣٢٣.
(٣١) عز الدين أبو الحسنين علي، الكامل في التاريخ، تحقيق عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٠م، ٣/٦٩-٨٣.
(٣٢) شريعتي، المصدر السابق، ص٢٧٣-٢٧٣.